عودة الى تل شيحا

تنشر مجلة «أصداء زحلة والبقاع» هذا المقال من كتاب يحضّر للطبع بعنوان: «انقاذ من العاصفة» من يوميات سيادة المطران أندره حداد وإعداد الدكتور هيكل الراعي: وننصح بمراجعة اعداد الرسول التي تذكر تدريجياً و «شهرياً» كل الانجازات التي تمت في تل شيحا من تجديد بناء ومعدات وغيرها...

- تدشين قسم الاطفال في تل شيحا:

وفي موازاة الاهتمام بالشأن العام لتجنيب الزحليين والبقاعيين المشاكل والمآسي، لم تتوقف عن الاهتمام بالمؤسسات التابعة للمطرانية وعلى رأسها مستشفى تل شيحا، حيث قمنا في ٢ شباط ١٩٨٦ وبحضور الاساقفة والرسميين وشخصيات من كل البقاع بتدشين قسم الاطفال في المستشفى وتكريس الانجازات التي تحققت. وقد القيت كلمة قلت فيها:
«أصحاب السيادة، اصحاب الفضيلة، ايها الأصدقاء المشتركون معنا في هذا النهار الجميل.
لا اجد ما اقوله بعد كل ما قيل، ولكني ارجع الى التاريخ الى الماضي، حيث بدأ مستشفى تل شيحا من احلام ابناء زحلة والبقاع، يوم كان سنة ١٩٠٧ مشروعاً صغيراً من مشاريع الجمعية الخيرية وتعهد آنذاك المطران كيرلس المغبغب الذي بنى الجناح الجديد في المطرانية. وبعد ذلك ارجع الى سنة ١٩٤٩ يوم دشن البناء الاول، المطران افتيموس يواكيم الذي كان مستشفى تل شيحا حلم حياته وعمل لسنوات طويلة حتى استطاع ان يدشن هذا الصرح. وإذا بالماضي يتصل اليوم بالحاضر، فنحن هنا لا نبني لا نزيد لا نوسع، ولكننا نجدد، لأن كل بناء بحاجة الى تجديد، وكل مشروع بحاجة لان يماشي العصر. وها هو مستشفى تل شيحا بعد هذه الحقبة الطويلة التي مرت عليه يجد نفسه بحاجة الى انتفاضة، حتى نستعمل الكلمات الدارجة في هذه الايام. وهذه الانتفاضة قمنا بها. وهذا التحدي قبلناه. وها نحن اليوم معكم ندشن اجزاء ستأتي عن قريب. والتجديد مستمر في البناء وفي التنظيم، وفي الادارة حتى يكون تل شيحا قابلاً للحياة ويكون على مستوى حاجات هذا العصر وعلى مستوى طموحكم يا ابناء زحلة والبقاع.
ايها الأصدقاء الذين اجتمعتم معنا في هذا النهار الجميل: انني اليوم وانا على رأس هذه المؤسسة واجد اعباءها كبيرة، احيي كل الذين عملوا طيلة هذه السنوات: الذين عملوا في الطب، عملوا في التمريض، عملوا في الإدارة، عملوا في التخطيط، عملوا في الاشغال اليدوية، فوضعوا قلبهم وفكرهم في تجديد هذا المستشفى الذي نفخر به اليوم، ونعتبر انه كان وسيبقى درة هذا البقاع وبيت الرحمة والمحبة وبيت التعايش والتلاقي ورمزاً للوحدة الوطنية التي نحنّ اليها اليوم ودائماً .ايها الأصدقاء، حياتنا تحدٍ يومي وتل شيحا هو التحدي اليومي، نريد ان نرفعه فوق المصالح، فوق العنعنات. هذا المستشفى شئنا ام ابينا هو بيت الرحمة لكل البقاع والبقاعيين، لذلك من مصلحة كل منا ان يدعمه معنوياً ومادياً. ان يدعمه بالفكر بالتخطيط وبالأفكار التي يعطينا اياها. ان يدعمه بالموقف الايجابي لا السلبي. إذا كان هنالك من نقص، او من ملاحظات، فصدرنا رحب، ونشكر من يعطينا اياها لأنه يكون قد ساهم معنا في ورشة البناء والإعمار. لذلك نطلب منكم المساعد الإيجابية بأن تعطونا ما ترون من ملاحظات لكي نسير بهذه المؤسسة قدماً وايجاباً لكي تصبح دائماً افضل فأفضل. وهذه المؤسسة، لأن الاسقف هو رأسها، ولأن هنالك مخلصين ومخلصات يعملون لأجلها، هذه المؤسسة نريد ان نعتبرها رسالة، رسالة زحلة الى البقاع ورسالة البقاع الى زحلة. نريد ان نعتبرها رمزاً للوحدة الوطنية التي تفتت. مستشفى تل شيحا هو مكان تلاقي جميع الاخوة في البشرية، جميع المرضى والمتألمين، دون نظر الى هوية طائفية او قومية، لأن المريض ليس له هوية ولأن الالم ليس له هوية، ولأن محبة الإنسان هي محبة شاملة لكل إنسان. هذا ما اردناه من المستشفى ان يكون رسالة يومية دائمة لوحدة وطنية نحلم بها. لوطن ومجتمع متراص نريد ان نبنيه. وقد بنت زحلة بحلها المثالي هذه الوحدة وهذا المثال. وهاهي اليوم تتطلع الى كل لبنان لتقول لهم عودوا الى البقاع، عودوا الى زحلة، عودوا الى تل شيحا، لكي تجدوا الصيغة التي نريدها لوطن المحبة والسلام. هذا «اللبنان» الذي هو مفتت اليوم، ولكنه كان ولابد ان يعود وطن المحبة وطن الخير وطن التآخي والسلام في كل هذا الشرق».

الصحة تاجٌ على رؤوس الأصحّاء.

اذا أصاب المرءَ مرضٌ او علّةٌ او وجعٌ او المٌ، واذا شكا امراً ما في جسده، ووجد في نفسه ضعفاً او فتوراً او وهناً، وتغيّر لونه او شَحُبَ واعتراهُ سقامٌ، ورأيته منهوك الجسم يرزحُ تحت أعباء داءٍ عضال أعياه، وتعذّر شفاؤه منه قلت حتماً:
إنه بحاجة ماسة الى دخول المستشفيات لمعالجته واستشفائه من دائه على يد طبيب حاذق فتراه صحيحاً معافى: هكذا مستشفانا يستقبل مرضانا بأطبائه وممرضاته ومعداته وتجهيزاته وعياداته دون تمييز او افتئات او تطيّف او تمذهب. واذا كان مستشفى تل شيحا هو في طليعة مستشفيات زحلة والبقاع فلأن ماضيه ينطق بما فيه، ولأنّ حاضره رمزٌ آتيه. كيف لا؟ والآتي منذ عامٍ ونيّف هو سيادة المطران عصام يوحنا درويش الذي آل على نفسه أن يحافظ على هذا المركز الاستشفائي ويجعل منه منارةً مشعّة ونقطة جذبٍ لكل محتاج اليه.
فمنذ المنتصف الاول من القرن الماضي شهد أحد تلال زحلة بناء أقيمَ عليه بفضل من تبرّع له من مقيمين ومغتربين، بعد سنوات من العطاء والمثابرة احتفل بأطبائه ومرضاه وموظفيه وكل اهالي منطقة زحلة بالعام الاول لولاية المطران عصام يوحنا درويش، فتميز عام ٢٠١٢ برؤية جديدة وتوالت الإجتماعات وطرحت المشاكل وبحثت باهتمامٍ كبير، وتبدّى من خلالها تطلّع نحو المستقبل من أجل إيجاد حلولٍ تؤدي الى ما هو أفضل وأجدى، بناءً وخدمةً وكفاءةً وتطويراً وتحسيناً وتغييراً ونجاحاً، وكل هذا يتطلب جهداً وصبراً ومهارة.
ومن هنا انطلقت ورشة التحسين والتدريب وإجراء دوراتٍ معلوماتية وتكنولوجية وبرمجتها ودراستها بحسب المعطيات والقواعد اللازمة لها من اجل تعزيز شبكة الانترنت والتأهيل لها. والمستشفى، طبابةً وجراحةً وتصويراً وتنظيراً وعنايةً وفحوصات مخبرية

واستشفاءً، يقوم على ركائز ودعائم اساسية تتطلب أموراً ذات قيمة كبرى تتعلق بالأعمال المخبرية والشعاعية والطبية والتمريضية. وما الى ذلك... وخلال عام ٢٠١١ كانت محصّلة الديون قد زادت بنسبة ٣٠٪ مع الإشارة الى ان مشاريع التأهيل والتمويل المقبلة على التبرعات الدولية التي تقوم المطرانية على تنظيم حملتها، وبما أن المستشفى، والحالة هذه بحاجة ماسة الى المثابرة والسعي الحثيث الدؤوب في طريق التطور والتحديث والنمو فما علينا نحن الزحليين، افراداً ومؤسساتٍ، إلاّ ان نعي هذا الامر، ونسعى بكل ما لدينا من طاقات من أجل الدعم والمساهمة اللذين يذللان العقبات التي تقف حائلاً دون تحقيق المشاريع الإنمائية المنوي تنفيذها. وإذا كانت مداراة المريض ومعالجته والاهتمام به واجباً، فالمال من اجل ذلك إنّ قلّ فهو نقمةٌ وإن زاد فهو نعمةٌ ومن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يرهْ... فأرنا نعمك يا الله.
فمن كرُمت نفسه طابت سريرته وعزّت مسيرته. واذا كانت الصحة تاجاً على رؤوس الاصحاء فما على المستشفيات إلا تأمين الشفاء وعلى الاغنياء مساعدة الفقراء.
والله وليّ التوفيق.
بقلم الشاعر ريمون قسيس